



- ١ -

"اعتراف البيت الأبيض الأميركي بأن النظام السوري ربما استخدم بالفعل الأسلحة الكيماوية ضد شعبه هو الأول من نوعه، وقد يكون نقطة انطلاق نحو تدخل الأميركي أوسع في سوريا".
هكذا أطلت صحيفة "فايننشال تايمز" الرزينة، في افتتاحيتها اليوم، على رسالة إدارة أوباما إلى الكونغرس حول مسألة استخدام النظام السوري الأسلحة الكيماوية.

لكن هل استنتاجها في محله حول احتمال تغيير الموقف الأميركي إزاء سوريا من "النأي بالنفس" إلى بدء خطوات التدخل المباشر؟

سأتأتي إلى هذا السؤال بعد قليل. لكن قبل ذلك تذكر بأن الرئيس أوباما كان يكرر طيلة الأشهر القليلة المقبلة بأن قيام النظام السوري باستخدام الأسلحة الكيماوية "هو خط أحمر ومتغير للعبة" بالنسبة إلى الولايات المتحدة.
لكن إدارة أوباما لم تتحرّك قيد أنملة حين كانت التقارير تتواتي في الأسابيع الأخيرة من هنا وهناك، خاصة من قبل حليفتها فرنسا وبريطانيا، عن قصف القوات السورية قوات المعارضة بغاز السارين المدمّر للأعصاب. فلماذا قررت الإدارة الخروج عن الصمت الآن؟ وإلى أين يمكن أن يقودها ذلك؟

- ٢ -

الأرجح أن المسألة تتعلق بالدرجة الأولى بالضغط التي تعرض إليها أوباما مؤخراً في الكونغرس وفي الداخل الأميركي.
فالشيوخ الجمهوريون، وفي مقدمهم جون ماكين، انطلقوا من التقارير البريطانية والفرنسية والدولية حول استخدام الأسد لغاز السارين، ليتهموا أوباما بالتذكر لموافقه هو نفسه حول كون الأسلحة الكيماوية خطأ أحمر، وبتعريض صدقية ومصداقية الولايات المتحدة إلى الخطر.

وحتى أقطاب حزب أوباما الديمقراطي كانوا هم أيضاً يتسلّلون ويشتكون من تأخر الولايات المتحدة عن حلفائها الأوروبيين في تتبع مسألة الأسلحة الكيماوية الخطيرة، على الرغم من أنهم لم يصلوا إلى ما وصل إليه الجمهوريون من مطالبة برفع

وتيرة التدخل الأميركي في سوريا.

وقد تصلّب موقف الديمقراطيين أكثر بعد أن أشارت استطلاعات الرأي العام الأميركي إلى ارتفاع ملحوظ في أعداد الأميركيين الذين يؤيدون التدخل العسكري الأميركي في سوريا.

كل ذلك دفع إدارة أوباما على ما يبدو إلى استباق جلسات الكونغرس لاستجواب وزير الخارجية كيري حول هذه المسألة، بتوجيه رسالة سريعة مسبقة إلى الكونغرس تتضمن الموقف الأميركي التصعيدي الجديد.

كما قد يكون هناك سبب آخر هو البيان المفاجئ الذي أصدره رئيس المخابرات العسكرية الإسرائيلي أتاي برون قبل أيام، والذي اتهم فيه لأول مرة النظام السوري بالمسؤولية عن كل الهجمات التي وقعت بالأسلحة الكيمائية مؤخرًا.

وعلى رغم أن الغموض لايزال يلف أسباب هذا البيان الذي جاء من طرف (إسرائيل) يفترض أنه أوفى أصدقاء النظام السوري الراهن، إلا أن تأثيراته لم تتأخر في التفاعل، خاصة في الكونغرس الأميركي الذي تهيمن عليه القوى الموالية لإسرائيل هيمنة تكاد تكون كاملة. إذ هو كان بمثابة الضوء الأخضر لها كي تتحرك للضغط على أوباما.

- III -

الرئيس الأميركي، إذا، يواجه ما قد يكون "ثورة صغيرة" في الداخل الأميركي تطالبه بتغيير وجهة سير السفينة الأميركية إزاء سوريا.

وهذا يعيدنا إلى سؤالنا الأولي: هل يبدأ أوباما بالتخلّي عن سياسة النأي بالنفس إزاء سوريا؟ من المبكر القفز إلى مثل هذا الاستنتاج، على رغم أن رسالة البيت الأبيض إلى الكونغرس تضمنت في ثناياها بالفعل رواج تغيير الأميركي ما.

فأوباما سبق له أن حدد قبل أربع سنوات هدفًا ثابتاً له هو إغفال ملف الحروب الأميركية التي استمرت 12 عاماً في العالم الإسلامي (أفغانستان والعراق)، وهو لم يتدخل في ليبيا إلا بعد تردد كبير وسوى كطرف ثانوي وراء حليفته بريطانيا وفرنسا.

وعلى رغم أن كل مساعديه ومستشاريه بلا استثناء كانوا يحثونه على رفع وتائر التدخل في سوريا، إلا أنه كان يرفض بعناد، ويدعوهم إلى ترك هذه القضية للقوى الإقليمية والدولية الحليفة للولايات المتحدة في الشرق الأوسط.

بيد أن تضمّنَ أعداد التقارير التي تتحدث عن بدء استخدام النظام السوري للأسلحة الكيمائية، وإن بشكل محدود، وضع إدارة أوباما في وضع صعب في الداخل الأميركي والعالم: إذ بات عليها أن تثبت أنها تقرن أقوالها بالأفعال حين تتحدث عن الخطوط الحمر، وإلا فقدت هيبيتها ومصداقيتها كقوة عظمى في كل أنحاء العالم.

وهذا يصح، أكثر ما يصح، في العلاقة مع إيران، حيث أن تراخي واشنطن في التعاطي مع الملف الكيمائي "الصغير" في سوريا، سيضرب كل استراتيجية أوباما وتكلباته في ما يتعلق بالملف النووي الإيراني "الكبير".

بيد أن الطريق لا يbedo مسدوداً أمام أوباما للإفلات من الضغوط المتتصاعدة عليه لحمله على التدخل أكثر في سوريا. ففي وسعه الآن (وهذا ما سيفعل على الأرجح) التحرك في الأمم المتحدة للمطالبة بإجراء تحقيق دولي حول الأسلحة الكيمائية. وهذا ما سيعطيه فسحة وقت قد تطول أو تقصير للتفلت من الضغوط. كما في وسعه تطوير خيارات أخرى للتعامل مع الأزمة السورية تقل عن درجة التدخل المباشر، وتكون محددة أمنياً وغير محدودة دبلوماسياً.

بيد أن هذا المخرج قد لا يكون كافياً إذا ما تراكم المزيد من "الحقائق" (وليس فقط تقارير أجهزة المخابرات) عما يجري كيمائياً في سوريا، أو إذا ما ارتكب النظام السوري الحماقة الكبرى وواصل استخدام هذه الأسلحة.

إذ حينها سيكتمل التفاف الانشوطة الداخلية الأميركية والدولية حول رقبة أوباما، وسيجد نفسه شاء أم أبى في قلب الأتون

السوري، تماماً كما حدث في ليبيا.

وهنا، سيكون الينتاغون جاهزاً: إذ هو أتم وضع خطط عسكرية تراوح بين شن عمليات كوماندوس أميركية داخل الأراضي السورية للسيطرة على مخزون الأسلحة الكيميائية، إلى قصف الطائرات والمطارات العسكرية، وصولاً في وقت لاحق إلى إقامة منطقة حظر جوي قرب الحدود الأردنية.

[اليوم غدا](#)

المصادر: